الموسوعة الندية في الآداب الإسلامية

آداب الاستيقاظ

الشيخ/ندا أبو أحمد

الموسوعة الندية في الآداب الإسلامية

آداب الاستيقاظ

الشيخ/ ندا أبو أحمد

آداب الاستيقاظ

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:1)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:70،71)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

الاستيقاظ من النوم دليل على البعث: آداب الاستيقاظ

الأدب الأول: أن تحمد الله على نعمة الاستيقاظ من النوم.

الأدب الثاني: الاستيقاظ مبكرًا.

الأدب الثالث: التسوك عند الاستيقاظ من النوم.

الأدب الرابع: الذكر والدعاء والصلاة على النبي ﷺ عند الاستيقاظ.

أولًا: بالنسبة للذكر عند الاستيقاظ من النوم بالليل:

ثانيًا: بالنسبة للدعاء عند الاستيقاظ من النوم بالليل.

ثالثًا: بالنسبة للصلاة على النبي ﷺ عند الاستيقاظ من النوم بالليل.

والذكر عند الاستيقاظ من النوم يفك عُقَد الشيطان.

الأدب الخامس: عند الفزع من النَّوم يقول: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ.

الأدب السادس: مسح النوم عن الوجه باليدين، وقراءة أواخر آل عمران عند الاستيقاظ.

الأدب السابع: غَسْلُ الوجهِ واليَدينِ عند الاستيقاظ من النَّومِ ليلًا وبعد قضاء الحاجة.

الأدب الثامن: الِاسْتِنْثَارُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ عِنْدَ الِاسْتِيقَاظِ مِنَ النَّوْمِ.

الأدب التاسع: غسل اليد عند الاستيقاظ من النَّومِ، وقبل أنْ يُدْخِلَهَا في إناء الوضوء.

الأدب العاشر: ترتيب مكان النوم.

الأدب الحادي عشر: قيام الليل بقدر ما يستطيع.

وكان النبي ﷺ يفتتح صلاة الليل بركعتين خفيفتين لحل عقد الشيطان.

الأدب الثاني عشر: إيقاظ الأهل لقيام الليل.

الأدب الثالث عشر: الغسل من الاحتلام– إن وجد– بعد الاستيقاظ من النَّومِ.

الأدب الرابع عشر: المحافظة على صلاة الفجر في جماعة.

الأدب الخامس عشر: تجنب النوم بعد صلاة الفجر، والمداومة على الأذكار حتى يصلى الضحى.

الأدب السادس عشر: التزام الهدوء والسكينة، وعدم رفع الصوت عند الدخول على النائم.

الأدب السابع عشر: الدعاء إذا خرج من بيته.

هديه ﷺ في النَّومِ والاستيقاظِ:

آداب الاستيقاظ:

النوم والاستيقاظ آية من آيات الله. قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (الروم: ٢٣).

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (القصص: ٧٣)

فعلينا أن نشكر الله عز وجل أن جعل الليل لباسًا لنسكن فيه، وجعل النهار معاشًا لنبتغي من فضله، ولك أن تتخيل لو أن الله جعل الليل سرمدًا، والنهار أبديًا، فإنه لا تستقم الحياة. قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ(71) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ (القصص:71،72).

فأيُّ قوَّة في هذا الكون سوى قوَّة الله تستطيع أن تجعلَ اللَّيْل هادئًا ساكنًا للمنام، والنهار مبصرًا للحركة وانتشار الأنام؟! وأيُّ قوة مهما بلغت تستطيع أن تتصرَّف لو استمرَّ الزمانُ ليلًا سرمديًّا أو نهارًا أبديًّا؟! سوى قوَّة الله–عز وجل–.

الاستيقاظ من النوم دليل على البعث:

في النوم والاستيقاظ سِرٌّ من أسرار الله الدالَّة على قيوميته ووحدانيته، وأنَّه سبحانه المتفرِّد بتدبير العباد في يقظتهم ومنامهم؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: 60).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر:42).

وكان النبي ﷺ يقول إذا استيقظ من نومه:" الحمدُ لله الذي أحيانا بعدَ ما أماتنا، وإليه النُّشور". (أخرجه البخاري ومسلم).

فالنوم: موت (الموتة الصغرى)، والاستيقاظ: بعث من الموتة الصغرى. والناس سيموتون كما ينامون، ويبعثون كما يستيقظون.

قال لقمان–رحمه الله– لابنه: يا بني إن كنت تشك في الموت فلا تنم، فكما أنت تنام كذلك تموت، وإن

كنت تشك في البعث فلا تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك.

وكما أن للنوم آداب– كما مر بنا– فكذلك الاستيقاظ له آداب؛ فيستحب أن نلتزم بها ونطبقها، ليكون يومنا ملئ بالبركة والخير والنفع.

الأدب الأول: أن تحمد الله على نعمة الاستيقاظ من النوم:

فالأنفُسَ يتوفَّاها الله جميعًا عندَ نومها، فإذا شاء أن يُفسِح لبعضها في الأجَلِ، أعادها إلى الحياة مرَّة أخرى، ومن قَدَّر عليها الوفاةَ أمسكها، فلا يقظةَ بعد هذه النومة إلاَّ في القبر.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزُّمر: 42).

أَمَامَـكَ يَا نَوْمَـانُ دَارُ سَعَـادَةٍ يَطُولُ الثَّوَى فِيهَا وَدَارُ شَقَاءِ

خُلِقْتَ لِإِحْدَى الْغَايَتَيْنِ فَلاَ تَنَمْ وَكُنْ بَيْنَ خَوْفٍ مِنْهُمَا وَرَجَاءِ

وأنت لا تدري إذا صَعِدتْ رُوحك إلى بارئها حالَ النوم، أتكون ممَّن تُمسَك رُوحُه فلا تعود، أم ممَّن تُرسل لتستكملَ بقية أجلها، فإذا أنعم الله عليك، وأمدَّ في عمرك ورد عليك روحك فاستيقظتَ، فعليك أن تشكر الله تعالى وتحمده على هذه النعمة. وإذا أردت أن تعرف قدْرَ نعمة الحياة، والاستيقاظ من النوم، فلتقف معي على هذه الأحاديث، ومنها:

– ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"... ولا يَتَمَنَّيَنَّ أحَدُكُمُ المَوْتَ: إمَّا مُحْسِنًا، فَلَعَلَّهُ أنْ يَزْدادَ خَيْرًا، وإمَّا مُسِيئًا، فَلَعَلَّهُ أنْ يَسْتَعْتِبَ ".

وأخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لا يَتَمَنَّ أحَدُكُمُ المَوْتَ، ولا يَدْعُ به مِن قَبْلِ أنْ يَأْتِيَهُ، إنَّه إذا ماتَ أحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وإنَّه لا يَزِيدُ المُؤْمِنَ عُمْرُهُ إلَّا خَيْرًا ".

فالإنسان الصالح إذا رد الله عليه روحه واستيقظ من النوم واستأنف الحياة؛ فإنه في رصيده من الحسنات.

وفي هذا الحديث نهى النبيُّ ﷺ عن تمنِّي الموتِ؛ لأنَّ الإنسانَ الذي يَتمنَّى الموت إمَّا أنْ يكون عاصيًا ومُسيئًا، وإمَّا أنْ يكونَ طائعًا؛ فإنْ كان مُسيئًا فلعلَّ طُولَ حياتِه يُعطيهِ الفُرصةَ أنْ يَسْتَعْتِبَ، أي: يَطلُبَ رِضا اللهِ بالتَّوبةِ وردِّ المظالمِ وتَدارُكِ الفائتِ، وإنْ كان طائعًا فلعلَّ طُولَ حياتِه يكونُ سَببًا في زِيادةِ إحسانِه، فيَزدادَ أجرُه، وتَرتفِعَ مَنزلتُه يومَ القيامةِ. وفي بعضِ الرِّواياتِ عند مسلمٍ أنَّ الإنسانَ يدعو فيقولُ:" واجعَلِ الحياةَ زيادةً لي في كُلِّ خيرٍ، واجعَلِ الموتَ راحةً لي من كُلِّ شَرٍّ"؛ وذلك لأنَّه إذا مات الإنسانُ انقطع أمَلُه وعَمَلُه، وزيادةُ العُمُرِ لا تزيدُ المؤمِنَ إلَّا خيرًا.

- والإنسان منا يستطيع أن يشتري نخلة في الجنة بنفس واحد:

فقد أخرج الترمذي والنسائي في" السنن الكبرى" من حديث جابرﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَن قالَ: سُبحانَ اللَّهِ العظيمِ وبحمدِهِ، غُرِسَت لَهُ نَخلةٌ في الجنَّةِ ". (صحيح الترمذي: 3465)

– وأخرج الحاكم والبيهقي في" شعب الإيمان من حديث عبد الله بن عباس–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ لرجلٍ وهو يَعِظُه:" اغتنِمْ خمسًا قبل خمسٍ: شبابَك قبل هَرَمِك، وصِحَّتَك قبل سَقَمِك، وغناك قبل فقرِك، وفراغَك قبل شُغلِك، وحياتَك قبل موتِك ". (صحيح الترغيب والترهيب: 3355)

– وأخرج الترمذي من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث ﷺ أنَّ رجلًا قالَ: يا رسولَ اللَّهِ! أيُّ النَّاسِ خيرٌ؟ قالَ: مَن طالَ عمرُهُ، وحَسنَ عملُهُ، قالَ: فأيُّ النَّاسِ شرٌّ؟ قالَ: مَن طالَ عمرُهُ، وساءَ عملُهُ ". (صحيح الترمذي: 2330)

– وفي رواية:" خيرُكُم مَن طالَ عُمرُهُ، وحسُنَ عملُهُ ".

فحُسنُ العملِ مع طولِ العمرِ مِن الأمورِ الَّتي يُغْبَطُ عليها صاحِبُها، وفي هذا الحديثِ سُئل النبي ﷺ " أيُّ النَّاسِ خيرٌ؟"، فدلَّه النَّبيُّ ﷺ على صِفاتِ مَن هو خيرُ النَّاسِ وأَماراتِه، فقال:" مَن طال عُمرُه، وحَسُنَ عملُه"، فهو يَستَفيدُ بطُولِ عُمرِه في الزِّيادةِ مِن حَسَناتِه، وبحُسنِ العَملِ مِن الطَّاعاتِ واتِّباعِ أوامرِ اللهِ ورسولِه ﷺ، وهذا يدُلُّ على سَعادةِ الدَّارَين والفوزِ بالحُسنَيَين.

فالأحاديث في هذا المعنى كثيرة، والتي تدل في مجموعها على أن الله تعالى إذا فسح للإنسان في عمره ليزيد في رصيده من الحسنات، فهو خير له في دينه ومعاشه، وعاقبة أمره.

ولذا كان النبي ﷺ يقول إِذَا اسْتَيْقَظَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ". (أخرجه البخاري ومسلم مِن حَدِيثِ حُذَيفَةَ بْنِ الْيَمَانِﷺ).

وكان ﷺ يقول كذلك:" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ ". (أخرجه الترمذي والنسائي من حديث أَبِي هُرَيْرَةَﷺ)

وكان سعيد بن جبير–رحمه الله– يقول:" اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ يَوْمٍ يَعِيشُهُ الْمُؤْمِنُ غَنِيمَةٌ ".

وصدق والله سعيد بن جبير، فالإنسان إذا رد الله عليه روحه واستأنف العمل؛ فلو بدأ يومه بصلاة الفجر؛ فكأنما قام الليل كله؛ كما أخبر بهذا الحبيب النبي ﷺ، وهو في ذمة الله، ناهيك عن أذكار ما بعد الصلاة، وأذكار الصباح وما فيها من أجر كبير وفضل عظيم، ويبدأ يومه بفعل الطاعات؛ من قراءة القرآن، وذكر الرحمن، والمحافظة على الصلوات المكتوبات، والإكثار من النوافل، والصدقة، والصيام، وصلة الأرحام، وإصلاح ذات البين، و. و. و. فالأعمال الصالحة كثيرة ومتنوعة، وأجرها كبير، وفضلها عظيم، لا نستطيع أن نحصيها في هذا المقام، ناهيك عن مواسم الطاعات التي تتضاعف فيها الحسنات ويغفر فيها الزلات، وترفع فيها الدرجات، وهذا الخير الذي يتحصل عليه الإنسان كل يوم يزيد في رصيده من الحسنات، وعند الممات تتوقف هذه الأعمال، ولا يستطيع أن يزيد في حسناته حسنة واحدة.

فيجب الشكر لله ﷻ الذي هيأ للعبد فرصة جديدة للتزود من العمل الصالح، ومدَّ لَهُ في عمره لاكتساب مزيد من الأجور والأرباح، بينما حرم كثير من الناس من ذلك، فمات منهم من مات، ومرض منهم من مرض، وغفل منهم من غفل، فكل من مَنَّ اللهُ عليه بنعمة الحياة فليسجد لله شكرًا، وليحمده على هذه النعمة، فهي نعمة عظيمة لا يعرف قدرها إلا من وقف على هذا الحديث:

حديث أخرجه ابن ماجه من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه:" أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ بَلِيٍّ قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ إِسْلَامُهُمَا جَمِيعًا، فَكَانَ أَحَدُهُمَا أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنَ الْآخَرِ، فَغَزَا الْمُجْتَهِدُ مِنْهُمَا فَاسْتُشْهِدَ، ثُمَّ مَكَثَ الْآخَرُ بَعْدَهُ سَنَةً ثُمَّ تُوُفِّيَ، قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ بَيْنَا أَنَا عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِهِمَا، فَخَرَجَ خَارِجٌ مِنَ الْجَنَّةِ، فَأَذِنَ لِلَّذِي تُوُفِّيَ الْآخِرَ مِنْهُمَا، ثُمَّ خَرَجَ فَأَذِنَ لِلَّذِي اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ، فَقَالَ: ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ يَأْنِ لَكَ بَعْدُ، فَأَصْبَحَ طَلْحَةُ يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ فَعَجِبُوا لِذَلِكَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَحَدَّثُوهُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ:" مِنْ أَيِّ ذَلِكَ تَعْجَبُونَ"! فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذَا كَانَ أَشَدَّ الرَّجُلَيْنِ اجْتِهَادًا ثُمَّ اسْتُشْهِدَ، وَدَخَلَ هَذَا الْآخِرُ الْجَنَّةَ قَبْلَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً؟، قَالُوا: بَلَى، قَالَ:" وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ، وَصَلَّى كَذَا وَكَذَا مِنْ سَجْدَةٍ فِي السَّنَةِ؟

– وفي رواية للإمام أحمد والبيهقي:" أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ، وَصَلَّى سِتَّةَ آلَافِ رَكْعَةٍ، أَوْ كَذَا وَكَذَا رَكْعَةً لِصَلَاةِ السَّنَةِ"، قَالُوا: بَلَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" فَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ". (السلسلة الصحيحة: 2591)

الأدب الثاني: الاستيقاظ مبكرًا:

– فقد أخرج أبو داود من حديث صخر بن وداعة الغامدي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" اللَّهمَّ بارِكْ لأمَّتي في بُكورِها. وَكانَ إذا بَعثَ سريَّةً أو جيشًا بَعثَهُم من أوَّلِ النَّهارِ، وَكانَ صخرٌ رجلًا تاجرًا، وَكانَ يَبعثُ تجارتَهُ من أوَّلِ النَّهارِ، فأثرَى وَكَثُرَ مالُهُ ". (صحيح أبي داود: 2606)

وقول النَّبيّ ﷺ:" اللَّهمَّ بارِكْ لأُمَّتي في بُكورِها"، وهذا دُعاءٌ مَعْناهُ اللَّهُمَّ أَكْثِرْ لها الخَيرَ والبَرَكةَ بالزِّيادةِ والنَّماءِ، حين تَخرُجُ لأعْمالِها في الصَّباحِ وأوَّلِ النَّهارِ.

قال صَخْرُ بنُ وَداعةَ الغامِديُّ ﷺ وهو أحَدُ رُواةِ الحَديثِ: وكان النَّبيُّ ﷺ إذا بَعَثَ سَريَّةً أو جيشًا"، بمَعْنى إذا أَرادَ النَّبيُّ ﷺ إرْسالَهم إلى الغَزْوِ، والسَّريَّةُ: الجُزْءُ مِن الجَيشِ يَبْلُغُ أقْصاها أربعَ مِئةِ جُنْديٍّ، "بَعَثَهم مِنْ أوَّلِ النَّهارِ"؛ وذلِكَ لتَحْصيلِ تِلْكَ البَرَكةِ الَّتي تكونُ في أوَّلِهِ. قال عُمارةُ بنُ حَديدٍ، وهو أحَدُ رُواةِ الحَديثِ:" وكان صَخْرٌ رَجُلًا تاجِرًا"، يَعْمَلُ بالتِّجارةِ، "وكان يَبْعَثُ تِجارتَهُ مِنْ أوَّلِ النَّهارِ"، عَمَلًا بوَصيَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ حتَّى يَنالَ بَرَكةَ دُعاءِ النَّبيِّ ﷺ،" فأَثْرى وكَثُرَ مالُهُ "، فصار غَنيًّا.

– ومما يدل على الاستيقاظ مبكرًا؛ ما أخرجه البخاري من حديث مَسروقُ بنُ الأجدَعِ قال: سَأَلْتُ عائِشةَ– رَضيَ اللَّهُ عنْها– أيُّ العَمَلِ كانَ أَحَبَّ إلى النبيِّ ﷺ؟ قالَتْ: الدَّائِمُ، قُلتُ: مَتَى كانَ يَقُومُ؟ قالَتْ: كانَ يَقومُ إذا سَمِعَ الصَّارِخَ ".

وفي هذا الحديثِ يَسأَلُ التابعيُّ مَسروقُ بنُ الأجدَعِ أمَّ المؤمنينَ عائِشةَ –رَضيَ اللهُ عنها–: أيُّ العَمَلِ كانَ أحَبَّ إلى النَّبيِّ ﷺ؟ فأجابَت: هو الدَّائمُ الَّذي يَستمِرُّ علَيه عامِلُه؛ لأنَّ الدائمَ وإنْ كان قليلًا، فإنَّه خَيرٌ مِن كَثيرٍ مُنقطِعٍ، والأعمالُ التي تكونُ أحَبَّ إلى النبيِّ ﷺ إنَّما تكونُ أحَبَّ إلى اللهِ، وإنَّما كانت أحَبَّ إلى اللهِ ورَسولِه مِن أجْلِ الأخْذِ بالرِّفقِ على النُّفوسِ التي يُخْشى منها السآمةُ والمَلَلُ الذي يؤدِّي إلى تَرْكِ العِبادةِ، واللهُ يُحِبُّ أنْ يُديمَ فضْلَه، ويُوالِيَ إحسانَه.

فسَأَلَ مَسروقٌ عائِشةَ –رَضيَ اللهُ عنها–: متى كان يَقومُ النبيُّ ﷺ مِن اللَّيلِ؟ فأجابَتْه: يَقومُ إذا سَمِعَ الصَّارِخَ"، وهو الدِّيكُ؛ لأنَّه يُكثِرُ الصِّياحَ في حُدودِ الثُّلُثِ الأخيرِ ووَقْتِ السَّحَرِ؛ لِيَتحرَّى وَقتَ تَنزُّلِ اللهِ تعالى، وكان قِيامُه ﷺ لأجْلِ التَّعبُّدِ والتَّنفُّلِ بالصَّلاةِ والدُّعاءِ. (الدرر السنية)

وقفة: إذا سمع الإنسان صياح الدِّيك، فليسأل الله تعالى من فضله.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ؛ فإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا باللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فإِنَّه رَأَى شيطَانًا.

الأدب الثالث: التسوك عند الاستيقاظ من النوم:

فقد أخرج البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ من حديث حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ:" كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ[1] فَاهُ بِالسِّوَاكِ". – وفي رواية:" أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَامَ لِلتَّهَجُّدِ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ فَاهُ بِالسِّوَاكِ". (متفق عليه)

وأَخْرَج أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَائِشَةَ –رضي الله عنها– أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُوضَعُ لَهُ وَضُوءُهُ وَسِوَاكُهُ فَإِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ تَخَلَّى ثُمَّ اسْتَاكَ ".

وأَخْرَج الإمام أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ– رضي الله عنهما– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ لا يَنَامُ إِلا وَالسِّوَاكُ عِنْدَهُ فَإِذَا اسْتَيْقَظَ بَدَأَ بِالسِّوَاكِ ". (الصحيحة:2111) (صحيح الجامع: ٤٨٧٢)

وأَخْرَج الإمام مُسْلِمٌ منْ حديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ–رضي الله عنهما– أَنَّهُ رَقَدَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَيْقَظَ، فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ... ". الحديث

وأخرج أبو داود من حديث أم المؤمنين عَائِشَةَ –رضي الله عنها– أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لاَ يَرْقُدُ مِنْ لَيْلٍ وَلاَ نَهَارٍ، فَيَسْتَيْقِظُ، إِلاَ تَسَوَّكَ قَبْلَ أَنْ يَتَوَضَّأَ ". (صحيح سنن أبي داود:57)

وأَخْرَج الطبراني في" الكبير" منْ حديث ابن عمر– رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ كان لا يتعار[2] من الليل إلا أجرى السواك على فيه[3] ". (صحيح الجامع: ٤٨٤٢)

وأَخْرَج الإمام أحمد منْ حديث ابْنِ عُمَرَ– رضي الله عنهما– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ لاَ يَنَامُ إِلاَ وَالسِّوَاكُ عِنْدَ رأسه، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ بَدَأَ بِالسِّوَاكِ ". (صحيح الجامع: ٤٨٧٢)

1– قال النووي في شرح مسلم:" يَشُوصُ: بفتح الياء وضم الشين وبالصاد المهملة ، والشَّوْصُ دلك الأسنان بالسّواك عرضًا ". اهـ

2– كان لا يتعار: أي ينتبه ويستيقظ.

3– من الليل إلا أجرى السواك على فيه: أي تسوك به، وإن تعدد انتباهه، فيسن ذلك لكل أحد. (فيض القدير للمناوي:221/5)

الأدب الرابع: الذكر والدعاء والصلاة على النبي ﷺ عند الاستيقاظ:

أولًا: بالنسبة للذكر عند الاستيقاظ من النوم بالليل:

فقد أخرج البُخَارِيُّ من حديث حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ ثُمَّ يَقُولُ:" اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ:" الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ[1] ".

– وفي رواية:" كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَن يَنَامَ قَالَ:" بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وأَحْيَا، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ".

– وأخرج الترمذي واللفظ له والنسائي في" السنن الكبرى" من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ فِرَاشِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ، فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ إِزَارِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ بَعْدُ. فَإِذَا اضْطَجَعَ، فَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي، فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا، فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ. فَإِذَا اسْتَيْقَظَ، فَلْيَقُلِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ ". (صحيح سنن الترمذي: ٣٤٠١)

- ومن استيقظ من نومه استحب له أن يقول هذا الذكر: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

فقد أخرج البخاري من حَدِيثِ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:" مَنْ تَعَارَّ[2] مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ [حِينَ يَسْتَيْقِظُ]: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ ".

وهذا حديث عظيم القدر، كثير المنافع لمن عَوَّدَ نفسه كلَّما استيقظ من نومه جرى لسانه بتوحيد الله، وذكره، فكان جزاؤه أن تقبل صلاته وتستجاب دعوته، فكم فرجت به من هموم، وكم قضيت به من ديون، وكم صلحت به أحوال فاسدة، والموفق من وفقه الله.

قال ابن بطال–رحمه الله–:" وعد الله تعالى على لسان نبيه ﷺ أن من استيقظ من نومه لهج لسانه بتوحيد ربه، والإذعان له بالملك والاعتراف بنعمه يحمده عليها، وينزهه عما لا يليق به بتسبيحه، والخضوع له

1– النشور: أي البعث بعد الموت.

2– تعارَّ: استيقظ من نومه.

بالتكبير والتسليم له بالعجز عن القدرة، إلا بعونه، أنه إذا دعاه أجابه، وإذا صلى قبلت صلاته، فينبغي لمن بلغه هذا الحديث أن يغتنم العمل به ويخلص نيته لربه سبحانه وتعالى". (فتح الباري: 3 /50)

- وكان النبي ﷺ يكثر من الحمد والتسبيح عند الاستيقاظ من النوم:

فقد أخرج النسائي من حديث رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ ﷺ قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ عِنْدَ حُجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ الْهَوِيَّ[1]، ثُمَّ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ؛ الْهَوِيَّ ". (صحيح سنن النسائي: ١٦١٧)

– وعند الترمذي بلفظ:" كُنتُ أبيتُ عندَ بابِ النَّبيِّ ﷺ، فأعطيهِ وَضوءَهُ، فأسمعُهُ الهويَّ منَ اللَّيلِ يقولُ: سمعَ اللَّهُ لمن حمدَهُ، وأسمعُهُ الهويَّ منَ اللَّيلِ يقولُ: الحَمدُ للَّهِ ربِّ العالمينَ ". (صحيح الترمذي: 3416)

ثانيًا: بالنسبة للدعاء عند الاستيقاظ من النوم بالليل:

- فيستحب الدعاء عند القيام من النوم في أي ساعة من الليل:

ودليل ذلك ما مر بنا في الحديث... أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ. فَإِنْ تَوَضَّأَ قُبِلَتْ صَلاَتُهُ".

وأَخْرَج الإمام مُسْلِمٌ منْ حديث جَابِرٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:" إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً، لاَ يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلاَ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ ".

قال النووي–رحمه الله– في" شرحه على صحيح مسلم: 3/ ٢٩٢":" فيه إثبات ساعة الإجابة في كل ليلة، ويتضمن الحث على الدعاء في جميع ساعات الليل رجاء مصادفتها.

- ويتحرى الدعاء في ثلث الأول من الليل، أو جوف الليل، أو الثلث الأخير من الليل، والأدلة على ذلك كثيرة؛ منها:

ما أَخْرَجه الإمام مُسْلِمٌ منْ حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ، حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. أَنَا الْمَلِكُ. مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ فَلاَ يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ ".

وأَخْرَج الإمام مُسْلِمٌ منْ حديث أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ– رضي الله عنهما– قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ، نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ ".

1– الْهَوِيَّ: قال ابن الأثير في النهاية: الهَوِيَّ: بالفتح: الحين الطويل من الزمان، وقيل: هو مختص بالليل. اهـ. أي: يقولُ هذا الذِّكرَ في وقتٍ طويل لا يفتُرُ عنه.

وأَخْرَج الإمام مُسْلِمٌ منْ حديث أَبِي هُرَيْرَة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ، أَوْ ثُلُثَاهُ، يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ ".

وأَخْرَج الإمام مُسْلِمٌ منْ حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" يَنْزِلُ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا لِشَطْرِ اللَّيْلِ، أَوْ لِثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ أَوْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ وَلاَ ظَلُومٍ[1]". – وَزَادَ في رواية:" ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدُومٍ وَلاَ ظَلُومٍ ".

وأَخْرَج الترمذي منْ حديث عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:" أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ، فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ. فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، فَكُنْ ". (صحيح سنن الترمذي: ٣٥٧٩)

وأَخْرَج ابن ماجه منْ حديث رِفَاعَةَ الْجُهَنِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ نِصْفُهُ أَوْ ثُلُثَاهُ، قَالَ: لاَ يَسْأَلَنَّ عِبَادِي غَيْرِي، مَنْ يَدْعُنِي أَسْتَجِبْ لَهُ، مَنْ يَسْأَلْنِي أُعْطِهِ، مَنْ يَسْتَغْفِرْنِي أَغْفِرْ لَهُ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ ". (صحيح سنن ابن ماجه: ١١٣٣)

وأخرج الطبراني وعن عثمان بن أبي العاص الثقفي ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" تُفتَّحُ أبوابُ السَّماءِ نصفَ اللَّيلِ فينادي منادٍ هل من داعٍ فيُستجابَ له هل من سائلٍ فيُعطَى، هل من مكروبٍ فيفرَّجَ عنه، فلا يبقَى مسلمٌ يدعو بدعوةٍ إلَّا استجاب اللهُ عزَّ وجلَّ له، إلَّا زانيةً تسعَى بفرجِها[2]، أو عشَّارًا[3] ". (صحيح الجامع: ٢٩٧١)

قال المناوي–رحمه الله– في" فيض القدير:314/3":" قالوا: إنما كان الفتح نصف الليل، لأنه وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من المشوشات، وهو وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب واستدرار الرحمة وفيوض الخير ". اهـ

1– وقوله سبحانه:" مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ وَلاَ ظَلُومٍ" وفي الرواية الأخرى:" مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدُومٍ وَلاَ ظَلُومٍ": قال النووي في شرحه على صحيح مسلم:(٢٩٥/3): قال أهل اللغة: يقال أعدم الرجل إذا افتقر، فهو معدم وعديم وعدوم. والمراد بالقرض، والله أعلم، عمل الطاعة سواء فيه الصدقة والصلاة والصوم والذكر وغيرها من الطاعات. وسماه سبحانه وتعالى قرضا ملاطفة للعباد، وتحريضا لهم على المبادرة إلى الطاعة. فإن القرض إنما يكون ممن يعرفه المقترض، وبينه وبينه مؤانسة ومحبة. فحين يتعرض للقرض، يبادر المطلوب منه بإجابته لفرحه بتأهيله للاقتراض منه، وإدلاله عليه، وذكره له ". اهـ

2– إلَّا زانيةً تسعَى بفرجِها: أي تكتسب.

3– أو عشَّارًا: أي مكاس. فإنه لا يستجاب لهما لجرم ذنبهما.

وأَخْرَج الإمام مُسْلِمٌ منْ حديث أَبِي هُرَيْرَة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ[1] لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ".

قال الحافظ ابن حجر–رحمه الله– في" فتح الباري:3/ ٣٨":" لم تختلف الروايات على الزهري في الاقتصار على الثلاثة المذكورة، وهي الدعاء، والسؤال، والاستغفار. والفرق بين الثلاثة: أن المطلوب إما لدفع المضار، أو جلب المسار، وذلك إما ديني وإما دنيوي. ففي الاستغفار إشارة إلى الأول (أي دفع المضار)، وفي السؤال إشارة إلى الثاني (أي جلب المسار لغرض ديني)، وفي الدعاء إشارة إلى الثالث (أي جلب المسار لغرض دنيوي). اهـ

وأَخْرَج الإمام مُسْلِمٌ منْ حديث أَبِي هُرَيْرَة ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ، إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ وَأَسْحَرَ، يَقُولُ: سَمِعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ وَحُسْنِ بَلَائِهِ عَلَيْنَا. رَبَّنَا صَاحِبْنَا وَأَفْضِلْ عَلَيْنَا. عَائِذًا بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ".

قال النووي–رحمه الله– في" شرحه على صحيح مسلم:50/9":" وأسحر: أي قام في السحر، أو انتهى في سيره إلى السحر، وهو آخر الليل.

ثالثًا: بالنسبة للصلاة على النبي ﷺ عند الاستيقاظ من النوم بالليل:

فقد أَخْرَج الترمذي منْ حديث أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ، قَامَ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! اذْكُرُوا اللَّهَ، اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتْ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ. قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: مَا شِئْتَ. قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ. قُلْتُ: النِّصْفَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ. قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ. قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ ". (صحيح سنن الترمذي:٢٤٥٧)

والذكر عند الاستيقاظ من النوم يفك عُقَد الشيطان:

فقد أخرج البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ من حديث أَبِي هُرَيْرَة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ[2] رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ[3] يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ

1– فَأَسْتَجِيبَ: ليست السين للطلب، بل أستجيب بمعنى أجيب.

2– القافية: القفا، وقيل: قافية الرأس مؤخره، وقيل وسطه.

3– يعقد ثلاث عقد: أراد تثقيله في النوم وإطالته، فكأنه قد شد عليه شدادًا وعقده ثلاث عقد. وقال النووي في" شرحه على صحيح مسلم:3/ ٣٢٣": واختلف العلماء في هذه العقد، فقيل: هو عقد حقيقي بمعنى عقد السحر للإنسان ومنعه من القيام، وقيل: يحتمل أن

انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ ".

وأخرجه الإمام أحمد وأبو يعلى وابن خزيمة من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما مِن ذَكَرٍ ولا أُنثى إلَّا على رَأسِه جَريرٌ[1] مَعقودٌ حين يَرقُدُ باللَّيلِ، فإنِ استَيقَظَ فذَكَرَ اللهَ، انحَلَّتْ عُقدةٌ، وإذا قامَ تَوضَّأَ وصلَّى انحَلَّتِ العُقَدُ، وأصبَحَ خَفيفًا طَيِّبَ النَّفْسِ قد أصابَ خَيرًا ".

– وعند ابن حبان بلفظ:" ما مِن مسلمٍ ذَكَرٍ ولا أنثى يَنامُ إلَّا وعليهِ جريرٌ معقودٌ، فإنِ استيقظَ فذَكَرَ اللَّهَ انحلَّت عقدةٌ، وإن هوَ توضَّأَ ثمَّ قامَ إلى الصَّلاةِ؛ أصبحَ نشيطًا قد أصابَ خيرًا وقدِ انحلَّت عقَدُهُ كلُّها، وإن أصبحَ ولم يذكرِ اللَّهَ أصبحَ وعقدُهُ عليهِ، وأصبحَ ثقيلًا كَسلانًا لم يصب خيرًا ".

يكون فعلا يفعله كفعل النفاثات في العقد، وقيل: هو من عقد القلب وتصميمه، فكأنه يوسوس في نفسه ويحدثه بأن عليك ليلا طويلا فتأخر عن القيام، وقيل: هو مجاز، كني له عن تثبيط الشيطان عن قيام الليل.

1– الجرير: الحبل.

الأدب الخامس: عند الفزع من النَّوم يقول:

أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ.

فقد أخرج الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما– قال: قال رسول الله ﷺ:" إِذَا فَزِعَ[1] أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ[2]، فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ[3] مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ[4]، وَشَرِّ عِبَادِهِ[5]، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ[6]، وَأَنْ يَحْضُرُونِ[7]، فَإِنَّهَا[8] لَنْ تَضُرَّهُ[9]".

(صحيح التَّرْغِيبِ والتَّرْهِيب:1601) (صحيح سنن الترمذي: ٣٥٢٨) (الصحيحة:264) (صحيح الجامع:701)

وعند أبي داود بلفظ:" أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كانَ يُعلِّمُهُم منَ الفزَعِ كلِماتٍ: أعوذُ بِكَلماتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، من غَضبِهِ وشرِّ عبادِهِ، ومن هَمزاتِ الشَّياطينِ وأن يحضُرونِ ".

1– إِذَا فَزِعَ: بِكَسْرِ الزَّايِ أَيْ خَافَ.

2– فِي النَّوْمِ: أَيْ فِي حَالِ النَّوْمِ أَوْ عِنْدَ إِرَادَتِهِ.

3– أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ: أَيْ الْكَامِلَةِ الشَّامِلَةِ الْفَاضِلَةِ وَهِيَ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ وَآيَاتُ كُتُبِهِ

4– وَعِقَابِهِ: أَيْ عَذَابِهِ.

5– شَرِّ عِبَادِهِ: مِنَ الظُّلْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَنَحْوِهِمَا.

6– وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ: أَيْ نَزَغَاتِهِمْ وَخَطَرَاتِهِمْ وَوَسَاوِسِهِمْ وَإِلْقَائِهِمْ الْفِتْنَةَ وَالْعَقَائِدَ الْفَاسِدَةَ فِي الْقَلْبِ وَهُوَ تَخْصِيصٌ بَعْدَ تَعْمِيمٍ.

7– وَأَنْ يَحْضُرُونَ: بِحَذْفِ الْيَاءِ وَإِبْقَاءِ الْكَسْرَةِ دَلِيلًا عَلَيْهَا أَيْ وَمِنْ أَنْ يَحْضُرُونِي فِي أُمُورِي كَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَحْضُرُونَ بِسُوءٍ.

8– فَإِنَّهَا: أَيْ الْهَمَزَاتِ.

9– لَنْ تَضُرَّهُ: أَيْ إِذَا دَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْفَزَعَ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ.

الأدب السادس:

مسح النوم عن الوجه باليدين، وقراءة أواخر آل عمران عند الاستيقاظ:

أَخْرَج البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ من حديث كُرَيْبٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما– أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ بَاتَ عِنْدَ مَيْمُونَةَ، وَهِيَ خَالَتُهُ، وقال: فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ وِسَادَةٍ، وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا، فَنَامَ حَتَّى انْتَصَفَ اللَّيْلُ– أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ– فَاسْتَيْقَظَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ[1]، ثُمَّ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ آلِ عِمْرَانَ– – وفي رواية: ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى شَنٍّ[2] مُعَلَّقَةٍ، فَتَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي".

– وفي رواية عند الإمام مُسْلِمٌ من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ– رضي الله عنهما– أَنَّهُ رَقَدَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَيْقَظَ، فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ... فَقَرَأَ هَؤُلاَءِ الْآيَاتِ حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ (آل عمران:190–200). ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَأَطَالَ فِيهِمَا الْقِيَامَ وَالرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ. ثُمَّ انْصَرَفَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ. ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، سِتَّ رَكَعَاتٍ. كُلَّ ذَلِكَ يَسْتَاكُ وَيَتَوَضَّأُ وَيَقْرَأُ هَؤُلاَءِ الْآيَاتِ. ثُمَّ أَوْتَرَ بِثَلاَثٍ. فَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ، فَخَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُورًا.

ويستحب لمن تكرر قيامه بالليل إن يتكرر منه قراءة هذه الآيات الآتي ذكرها من سورة آل عمران:

أَخْرَج الإمام مُسْلِمٌ من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما– أَنَّهُ بَاتَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ. فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ. فَخَرَجَ فَنَظَرَ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي آلِ عِمْرَانَ:﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَاب(190)الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران:190، 191) ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى، ثُمَّ اضْطَجَعَ، ثُمَّ قَامَ فَخَرَجَ، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَلاَ هَذِهِ الْآيَةَ؛ ثُمَّ رَجَعَ فَتَسَوَّكَ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى".

1– يمسح النوم عن وجهه: معناه: أثر النوم، وفيه: استحباب هذا واستعمال المجاز.

2– الشن: القربة.

قال النووي–رحمه الله– في شرحه على صحيح مسلم:" وفيه يستحب قراءة هذه الآيات عند الاستيقاظ في الليل، مع النظر إلى السماء، لما في ذلك من عظيم التدبر. وإذا تكرر نومه واستيقاظه وخروجه، استحب تكريره قراءة هذه الآيات كما ذكر في الحديث ". والله أعلم

قراءة المعوذتين عند الاستيقاظ من النوم:

فقد أخرج النسائي من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ: بَيْنَا أَقُودُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي نَقَبٍ مِنْ تِلْكَ النِّقَابِ[1]، إِذْ قَالَ: أَلاَ تَرْكَبُ يَا عُقْبَةُ؟ فَأَجْلَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَرْكَبَ مَرْكَبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ تَرْكَبُ يَا عُقْبَةُ؟ فَأَشْفَقْتُ أَنْ يَكُونَ مَعْصِيَةً، فَنَزَلَ، وَرَكِبْتُ هُنَيْهَةً، وَنَزَلْتُ، وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أُعَلِّمُكَ سُورَتَيْنِ، مِنْ خَيْرِ سُورَتَيْنِ قَرَأَ بِهِمَا النَّاسُ؟"، فَأَقْرَأَنِي: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، فَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَتَقَدَّمَ، فَقَرَأَ بِهِمَا، ثُمَّ مَرَّ بِي، فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتَ يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ[2]؟ اقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا نِمْتَ وَقُمْتَ[3] ". (صحيح سنن النسائي: ٥٤٥٢)

1– في نَقْبٍ من تلك النِّقابِ: أي: في طَرِيقٍ من طرُقِ المدينةِ، والنَّقْبُ الطَّرِيقُ بينَ جبَلَينِ.

2– المقصودُ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أراد أن يُعلِّمَه عِظَمَ شأنِ السُّورتَين ومَكانتِهما؛ وذلك لأنَّ عُقبةَ– كما جاء في رِوايةِ أبي داودَ– قال: "فلمْ يَرَني سُررتُ بهما جدًّا"، وكان عقبةُ رضِيَ اللهُ عنه كان يَرغبُ في أنْ يُعلِّمَه النبيُّ ﷺ سُورةَ هود وسُورةَ يُوسُف؛ فعَلَّمه هاتينِ السُّورتَينِ (المُعوِّذتَينِ) وبيَّن له فضلَهما وصلَّى بهما؛ ليقنَعَ عُقبةُ بذلك ويَفرحَ؛ لأنَّه لم يظهرْ على عُقبةَ السرورُ أوَّلَ الأمْرِ

3– كلَّما نِمتَ وقُمتَ"، أي: عِندَ نومِك، وعند القِيامِ من النَّومِ، وسُورَتَا الفلَقِ والنَّاسِ لا يَستَغني عنهما أحدٌ قطُّ؛ فإنَّ لهما تأثيرًا خاصًّا في دَفْعِ السِّحرِ والعَينِ وسائرِ الشُّرورِ.

الأدب السابع:

غَسْلُ الوجهِ واليَدينِ عند الاستيقاظ من النَّومِ ليلًا وبعد قضاء الحاجة:

فقد أخرج الإمام مُسْلِمٌ من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُما– أَنَّ النبيَّ ﷺ قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَقَضَى حَاجَتَهُ[1]، ثُمَّ غَسَلَ وجْهَهُ، ويَدَيْهِ، ثُمَّ نَامَ ". وفي الحديث عدم كراهة النوم بعد الاستيقاظ في الليل. يقول الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم:2/ ٢١٩": الظاهر، والله اعلم، أن المراد بقضاء الحاجة: الحدث، وكذا قاله القاضي عياض، والحكمة في غسل الوجه إذهاب النعاس وآثار النوم، وأما غسل اليد، فقال القاضي: لعله كان شيء نالهما. وفي هذا الحديث أن النوم بعد الاستيقاظ في الليل ليس بمكروه، وقد جاء عن بعض زهاد السلف كراهة ذلك، ولعلهم أرادوا من لم يأمن استغراق النوم، بحيث يفوته وظيفته، ولا يكون مخالفًا لما فعله النبي ﷺ، فإنه ﷺ كان يأمن من فوات أوراده ووظيفته ".

الأدب الثامن: الِاسْتِنْثَارُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ عِنْدَ الِاسْتِيقَاظِ مِنَ النَّوْمِ:

فقد أخرج البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَتَوَضَّأَ، فَلْيَسْتَنْثِرْ[2] ثَلَاثًا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيْشُومِهِ ".

– وفي رواية:" إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيَاشِيمِهِ". (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

قال النووي–رحمه الله– في" شرحه على صحيح مسلم:2/ ١٢٩": قال العلماء: الخيشوم أعلى الأنف، وقيل: هو الأنف كله، وقيل: هي عظام رقاق لينة في أقصى الأنف بينه وبين الدماغ، وقيل غير ذلك، وهو اختلاف متقارب المعنى. قال القاضي عياض–رحمه الله–: يحتمل أن يكون قوله ﷺ:" فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيْشُومِهِ" على حقيقته، فإن الأنف أحد منافذ الجسم التي يتوصل إلى القلب منها، لاسيما وليس من منافذ الجسم ما ليس عليه غلق سواه وسوى الأذنين... وجاء في التثاؤب الأمر بكظمه من أجل دخول الشيطان حينئذ في الفم. قال: ويحتمل أن يكون على الاستعارة، فإن ما ينعقد من الغبار ورطوبة الخياشيم قذارة توافق الشيطان. والله أعلم.

1– فَقَضَى حَاجَتَهُ: قال أبو داود:" يعني: بال".

2– الِاسْتِنْثَارُ: هو إخراج الماء من الأنف عن طريق الزفير بقوة.

الأدب التاسع:

غسل اليد عند الاستيقاظ من النَّومِ، وقبل أنْ يُدْخِلَهَا في إناء الوضوء:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إذَا اسْتَيْقَظَ أحَدُكُمْ مِن نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أنْ يُدْخِلَهَا في وَضُوئِهِ؛ فإنَّ أحَدَكُمْ لا يَدْرِي أيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ ".

وأَخْرَج الإمام مُسْلِمٌ منْ حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:" إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ، فَلاَ يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلاَثًا. فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ ".

وأَخْرَج ابن ماجه منْ حديث ابن عمر–رَضِيَ اللهُ عَنْهُما– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلاَ يُدْخِلْ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ". (صحيح سنن ابن ماجه: ٣٢٠)

وعَنْد ابن ماجه أيضًا عن جَابِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ النَّوْمِ فَأَرَادَ أَنْ يَتَوَضَّأَ، فَلاَ يُدْخِلْ يَدَهُ فِي وَضُوئِهِ حَتَّى يَغْسِلَهَا، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ وَلاَ عَلَى مَا وَضَعَهَا؟ ". (صحيح سنن ابن ماجه: ٣٢١)

الأدب العاشر: ترتيب مكان النوم:

فالإنسان إذا استيقظ من نومه فعليه أن يرتب فراش نومه، وهو بهذا العمل يهون على أهل بيته سواء كانت زوجة أو أم، ويدخل السرور على قلبها، وهذا لا يقدح في رجولته في شيء، فقد كان النبي ﷺ في خدمة أهله.

فقد أخرج البخاري عن عَائِشَةَ –رَضِيَ اللهُ عنها– أنها سُئِلَتْ؛ ما كانَ النبيُّ ﷺ يَصْنَعُ في بَيْتِهِ؟ قالَتْ: كانَ يَكونُ في مِهْنَةِ أهْلِهِ – تَعْنِي خِدْمَةَ أهْلِهِ – فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إلى الصَّلَاةِ ".

في هذا الحديثِ عندما سُئِلَتْ عَائِشَةَ– رَضِيَ اللهُ عنها– عَن حالِ النبيّ ﷺ في بيْتِه وكيفَ كان يَصنَعُ، قالتْ: كان يكونُ في خِدمةِ أهْلِه، بِمعنى أنَّه كان يُساعِدُهنَّ في الأعمالِ الَّتي يَقُمْنَ بها، وقد جاء عنه ﷺ كما في مُسنَدِ أحمَدَ أنه كان يَخدُمُ نفْسَه، ويَحلُبُ شاتَه، ويَرقَعُ ثَوبَه، ويَخصِفُ نَعْلَه، وكان إذا حضَرَتِ الصَّلاةُ خرَجَ إليها دُونَ تَأخيرٍ ﷺ. وهذا فيه تَعليمٌ للأُمَّةِ حتَّى يَقتَدوا بنَبيِّهم ﷺ في القيامِ بما يَستطيعُه وما يتَّفِقُ معه مِن مُهِمَّاتِ البيتِ، وأنْ يَخدُمَ نفْسَه في بَعضِ الأُمورِ، وأنَّه لا غَضاضةَ في ذلك مع الحِرصِ على أداءِ واجباتِ اللهِ وحُقوقِه، وتلك مُوازنةٌ بيْن كلِّ الحُقوقِ والواجباتِ التي تَفرِضُها الحياةُ على الإنسانِ. وفي الحديثِ: تولِّي

الأئمَّةِ والفُضلاءِ خِدمةَ أُمورِهم بأنفُسِهم وأنَّ ذلِك مِن فِعلِ الصالِحِينَ اتِّباعًا لسيِّدِهم وقدوتِهم ﷺ. (الدرر السنية)

الأدب الحادي عشر: قيام الليل بقدر ما يستطيع:

قيام الليل زاد المتقين، وطريق السالكين إلى رب العالمين، وهو غذاء للروح، وجلاء للقلب، وصفاء للنفس، وراحة للبال، وانشراح للصدر، وقوة للبدن، ونور في الوجه، وهو دليل على علو الهمة، وقوة الإيمان. فطوبى للمتهجدين بالليل، أولئك الذين يرثون النور التام يوم القيامة، فقد قاموا في ظلمة الليل يتضرعون إلى ربهم، قلوبهم تحت العرش معلقة، وأجسادهم في الدنيا منتصبة، يقفون بين يدي مولاهم يرجون رحمته ويخافون عذابه. فيوم القيامة يعطيهم الله تعالى ما يرجون، ويؤمنهم مما يخافون.

يقول يزيد الرقاشي– رحمه الله–:" بطول التهجدِ تقرُّ عيونُ العابدين، وبطول الظمأ تفرحُ عند لقاء رب العالمين ". (كتاب التهجد لابن أبي الدنيا ص: 407)

فقيام الليل شريعة ربانية، وسنة نبوية، ومدرسة تربوية، وخصلة حميدة مرضية، ودموع وعبرات قلبية، وآهات وزفرات شجية، وخلو برب البرية، وسعادة روحية، وقوة جسمانية، تتعلق الروح فيها بالجنات العلية، وفيه من الفضائل والثمرات والفوائد الجلية، ومنها:

أن قيام الليل يجعلك من عباد الله المشهود لهم بالإيمان، وقيام الليل فرصة لإدراك وقت السحر والدعاء فيه، وقيام الليل يرى أثره في وجوه العابدين، وقيام الليل من وسائل الثبات، وقيام الليل يجعلك من عباد الله المحسنين المستحقين لرحمة رب العالمين، وقيام الليل يجعلك من عباد الله الذين وعدهم الله بجنة الخلد، وقيام الليل أفضل الصلوات بعد المكتوبات، وقيام الليل أحب الصلاة إلى الله بعد المكتوبة، وقيام الليل لشكر النعم والتأسي بالرسول ﷺ، وقيام الليل للتأسي بالصالحين والتشبه بهم، وقيام الليل يدخل صاحبه في قائمة الصديقين والشهداء، وقيام الليل يدخل صاحبه في قائمة الأبرار، وقيام الليل يدخل صاحبه في قائمة المرحومين، وقيام الليل يدخل صاحبه في قائمة الذاكرين الله كثيرًا، وقيام الليل دليل على صلاح العبد، قيام الليل يجعل الإنسان طيب النفس نشيطًا، قيام الليل سبيل النصر على الأعداء، وقيام الليل وقاية من الأمراض والأسقام، وقيام الليل وقاية من الفتن، وقيام الليل لإحراز الشرف الحقيقي، ويعجب الله تعالى ممن يقوم الليل، ويباهي به الملائكة، وقيام الليل سبيل لإجابة الدعاء، وقيام الليل سبب للفوز بمحبة الله تعالى، وقيام الليل سبب للتعرض وقت نزول الرب سبحانه وتعالى، ووقت إجابة الدعاء، وقيام الليل سبب لقرب

الملائكة من المصلي، واستماعهم لقراءته،

وقيام الليل سبيل للبعد عن المعاصي، وقيام الليل سبب لتكفير الذنوب ومحو السيئات، وقيام الليل سبيل لتحصيل الأجور وكسب الحسنات، وقيام الليل يهون من طول القيام في عرصات يوم القيامة، وقيام الليل يشفع للعبد يوم القيامة، وقيام الليل نجاة من النار، وقيام الليل سبيل لدخول الجنة، وقيام الليل ترفع به الدرجات في الجنة[1].

وكان النبي ﷺ يفتتح صلاة الليل بركعتين خفيفتين لحل عقد الشيطان:

فقد أخرج الإمام مُسْلِمٌ من حديث عَائِشَةَ –رضي الله عنها– قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ لِيُصَلِّيَ، افْتَتَحَ صَلاَتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ".

وأخرج الإمام مُسْلِمٌ من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلْيَفْتَتِحْ صَلاَتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ".

وقد ذكر ابن حجر العسقلاني في" فتح الباري:34/3" أن السر في استفتاح صلاة الليل بركعتين خفيفتين المبادرة إلى حل عقد الشيطان.

1– على كل جملة مما سبق دليل من الكتاب والسنة، (انظر رسالة فضل قيام الليل، ضمن سلسلة الكتاب الجامع للفضائل– للمؤلف–)

الأدب الثاني عشر: إيقاظ الأهل لقيام الليل:

فقد أخرج أبو داود من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنهما– قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا، كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ". (صحيح أبي داود: ١٤٥١) (الصحيحة:2111)

قال المناوي–رحمه الله– في" فيض القدير:34/4": أفاد الحديث أن من أصاب خيرًا ينبغي أن يحب لغيره ما يحب لنفسه، فيأخذ الأقرب، وذلك أن المصطفى ﷺ لما نال ما نال بالتهجد من الكرامة، أراد أن يحصل لأمته حظ من ذلك، فحثهم عليه ".

وإذا أبت زوجته الاستيقاظ للصلاة نضح على وجهها الماء، وكذلك تفعل الزوجة مع زوجها.

فقد أخرج أَبُو دَاودَ من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ[1] فِي وَجْهِهَا المَاءَ، رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ المَاءَ ".(صحيح الجامع:3494)

وهذا دعاء بالرحمة من النبي ﷺ لمن أيقظ زوجته، ولمن أيقظت زوجها من الليل، فصليا ما كتب الله لهما، ودعاء النبي ﷺ مستجابٌ.

وأخرج البُخَارِيُّ من حديث عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيّ ﷺ لَيْلَةً، فَقَالَ: أَلاَ تُصَلِّيَانِ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا. فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف:54)

وأخرج البُخَارِيُّ من حديث أُمِّ سَلَمَةَ– رضي الله عنها– أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَيْقَظَ لَيْلَةً فَزِعًا، يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْخَزَائِنِ، وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْفِتَنِ؟ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ، يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ، لِكَيْ يُصَلِّينَ؟ رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا، عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ ".

قال الحافظ ابن حجر في" فتح الباري:26/13": واختلف في المراد بقوله:" كاسية وعارية" على أوجه، أحدها: كاسية في الدنيا بالثياب لوجود الغنى عارية في الآخرة من الثواب لعدم العمل في الدنيا، ثانيها: كاسية بالثياب لكنها شفافة لا تستر عورتها فتعاقب في الآخرة بالعري جزاء على ذلك، ثالثها: كاسية من نعم الله؛

1– النضح: هو رش الماء الخفيف على وجهه النائم حيث ينتبه، ويذهب عنه أثر النوم.

عارية من الشكر الذي تظهر ثمرته في الآخرة بالثواب، رابعها: كاسية جسدها لكنها تشد خمارها من ورائها فيبدو صدرها فتصير عارية فتعاقب في الآخرة، خامسها: كاسية من خلعة التزوج بالرجل الصالح؛ عارية في الآخرة من العمل فلا ينفعها صلاح زوجها، واللفظة وإن وردت في أزواج النبي ﷺ لكن العبرة بعموم اللفظ، وفي هذا الحديث أن الفتوح في الخزائن تنشأ عنه فتنة المال بأن يتنافس فيه فيقع القتال بسببه، وأن يبخل به فيمنع الحق، أو يبطر صاحبه فيسرف، فأراد ﷺ تحذير أزواجه من ذلك كله وكذا غيرهن ممن بلغه ذلك، وأراد بقوله:" من يوقظ" بعض خدمه، كما قال يوم الخندق "من يأتيني بخبر القوم" وأراد أصحابه... وفي الحديث الندب إلى الدعاء، والتضرع عند نزول الفتنة، ولاسيما في الليل لرجاء وقت الإجابة لتكشف أو يسلم الداعي ومن دعا له، وبالله التوفيق. اهـ

الأدب الثالث عشر:

الغسل من الاحتلام– إن وجد– بعد الاستيقاظ من النَّومِ:

فقد أخرج البخاري مِن حَدِيثِ أم سلمة– رضي اللهُ عنها– قالت:" جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ[1] إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يا رَسولَ اللَّهِ! إنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ، فَهلْ علَى المَرْأَةِ مِن غُسْلٍ إذَا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ النبيُّ ﷺ: إذَا رَأَتِ المَاءَ[2] فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ، تَعْنِي وجْهَهَا، وقَالَتْ: يا رَسولَ اللَّهِ أوَ تَحْتَلِمُ المَرْأَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ[3]، فَبِمَ يُشْبِهُهَا ولَدُهَا[4]".

1– أمَّ سُلَيمٍ: هي والدةُ أنسِ بنِ مالكٍ وزَوجةُ أبي طلحة الأنصاري رَضيَ اللهُ عنهم جميعًا.

2– إذا رَأَتِ الماءَ: أي: المَنِيَّ؛ إذا استَيقظَتْ مِن نَومِها، فإذا لم تَرَهْ فلا غُسْلَ عليها.

3– تَرِبَتْ يَمينُك: أي: افتقَرَتْ وصارَتْ على التُّرابِ، وهي كَلمةٌ جاريةٌ على ألْسِنةِ العرَبِ لا يُريدونَ بها الدُّعاءَ على المخاطَبِ.

4– فبِمَ يُشبِهُها وَلَدُها؟ والمعنى: فبأيِّ شَيءٍ يُشْبِهُها وَلَدُها لو لم يكُنْ لها ماءٌ؟ وماءُ الرَّجلِ غَليظٌ أبيضُ، وماءُ المرأةِ رَقيقٌ أصفرُ، وقد جاء أنَّ أيَّ الماءينِ عَلا الآخَرَ أو سَبَقَ، كان منه الشَّبَهُ الذي في وَلَدِهما.

الأدب الرابع عشر: المحافظة على صلاة الفجر في جماعة:

فمن استيقظ مبكرًا فإنه لا تفوته صلاة الفجر، والتي لها فضائل عظيمة، وأجور كبيرة؛ ومنها: أن الله يباهي الملائكة بمَن ترك فراشه وقام لصلاته، مَن خرج يسعى لصلاة الفجر في جماعة أعطاه الله نورًا تامًا يوم القيامة، ركعتا الفجر (سُنَّة الفجر) خيرٌ من الدنيا وما فيها، ومن صلى الفجر في جماعة يكتب لك أجر قيام الليل، وتجتمع فيها الملائكة وتدعو لمَن صلى الفجر في جماعة، وهناك ذكر خاص بعد صلاة الفجر فيه ما فيه من الأجر، وبعد الانتهاء من الصلاة كتبت من الأبرار ومن وفد الرحمن، وبعد الانتهاء من الصلاة أنت في حماية وحفظ الله، ثم إن صلاة الفجر تعطيك فرصة عظيمة لتحصيل الأجور الكبيرة، مَن صلَّى الصبح له أمان من الله ﷻ بعدم دخول النار، مَن صلى الصبح في جماعة فله وعد من الله بدخول الجنة، وغير ذلك من الفضائل[1]. والحبيب النبي ﷺ أخذ يعدد فضائل صلاة الفجر لدرجة أنه قال: إن لم تستطع أن تأتي الفجر إلا زحفًا على الركب فافعل.

– فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ ما في النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عليه لَاسْتَهَمُوا، ولو يَعْلَمُونَ ما في التَّهْجِيرِ[2] لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، ولو يَعْلَمُونَ ما في العَتَمَةِ[3] وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُما ولو حَبْوًا ".

قال النووي – رحمه الله– في " شرح مسلم:154/5":" قوله ﷺ:" لأتوهما ولو حَبْوًا" معناه لو يعلمون ما فيهما من الفضل والخير، ثم لم يستطيعوا الإتيان إليهما إلا حَبْوًا لحَبَوا إليهما ولم يفوتوا جماعتهما في المسجد، ففيه الحث البليغ على حضورهما ". اهـ

وقال الحافظ ابن حجر–رحمه الله– في" فتح الباري:141/2": قوله ﷺ:" لو يعلمون ما فيهما" أي مزيد من الفضل" لأتوهما" أي الصلاتين، والمراد: لأتوا إلى المحل الذي يصليان فيه جماعة وهو المسجد، وقوله ﷺ:" ولو حَبْوًا" أي يزحفون إذا منعهم مانع من المشي كما يزحف الصغير". اهـ

1– وكل جملة ما سبق عليها دليل، وهناك رسالة للمؤلف عن صلاة الفجر فلتراجع؛ فضلًا لا أمرًا.

2– التهجير: التبكير.

3– العتمة: صلاة العشاء.

الأدب الخامس عشر: تجنب النوم بعد صلاة الفجر، ويذكر الله حتى يصلى الضحى:

فقد أخرج الترمذي والبغوي في" شرح السنة" من حديث أنس بن مالك ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" مَن صلى الفجرَ في جماعةٍ، ثم قَعَد يَذْكُرُ اللهَ حتى تَطْلُعَ الشمسُ، ثم صلى ركعتينِ، كانت له كأجرِ حَجَّةٍ وعُمْرَةٍ تامَّةٍ، تامَّةٍ، تامَّةٍ ". (صحيح الجامع: 6346)

في هذا الحَديثِ يَقولُ النَّبيُّ ﷺ:" مَن صَلَّى الفَجرَ في جَماعةٍ " فصَلَّاها على وَقتِها، وكانَتْ في جَماعةٍ " ثم قَعَدَ يَذكُرُ اللهَ " بَعدَ الانتِهاءِ مِن صَلاةِ الصُّبحِ مُشتَغِلًا بالأذكارِ والتَّسبيحِ، وظَلَّ على حالِه هذه "حتى تَطلُعَ الشَّمسُ" حتى تُشرِقَ وتَرتَفِعَ ويَخرُجَ وَقتُ النَّهيِ عنِ الصَّلاةِ،" ثم صَلَّى رَكعَتَيْنِ" وهما صَلاةِ الضُّحى، وأوَّلُ وَقتِها يَكونُ بَعدَ شُروقِ الشَّمسِ قَدرَ رُمحٍ –وتُقَدَّرُ بثُلُثِ ساعةٍ بَعدَ الشُّروقِ تَقريبًا– إلى قُبَيلِ الظُّهرِ،" كانَتْ له كأجْرِ حَجَّةٍ وعُمرةٍ تامَّةٍ تامَّةٍ تامَّةٍ "، وهذا تأكيدٌ لِمَا يَحصُلُ عليه مِنَ الأجْرِ والثَّوابِ لتلك الجِلسةِ، وهذا لا يُغني عن حَجَّةِ الإسلامِ، ولا عن عُمرةِ الإسلامِ، ولكِنَّ الأجْرَ يُساوي أجْرَ حَجَّةٍ، وأجْرَ عُمرةٍ. وفي الحَديثِ: تَرغيبٌ في القُعودِ والذِّكرِ بَعدَ صَلاةِ الفَجرِ حتى شُروقِ الشَّمسِ. (الدرر السنية بتصرف)

الأدب السادس عشر: التزام الهدوء والسكينة، وعدم رفع الصوت عند الدخول على النائم:

فقد أخرج الإمام مسلم عن المقداد بن عمرو بن الأسود ﷺ قال:" أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي، وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الجَهْدِ، فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَى أَصْحَابِ رَسولِ اللهِ ﷺ، فليْس أَحَدٌ منهمْ يَقْبَلُنَا، فأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ فَانْطَلَقَ بنَا إلى أَهْلِهِ، فَإِذَا ثَلَاثَةُ أَعْنُزٍ، فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ: احْتَلِبُوا هذا اللَّبَنَ بيْنَنَا، قالَ: فَكُنَّا نَحْتَلِبُ فَيَشْرَبُ كُلُّ إنْسَانٍ مِنَّا نَصِيبَهُ، وَنَرْفَعُ للنَّبِيِّ ﷺ نَصِيبَهُ، قالَ: فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ فيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لا يُوقِظُ نَائِمًا وَيُسْمِعُ اليَقْظَانَ، قالَ: ثُمَّ يَأْتِي المَسْجِدَ فيُصَلِّي، ثُمَّ يَأْتِي شَرَابَهُ فَيَشْرَبُ...." . الحديث

قال الإمام النووي –رحمه الله–:" أقلُّه أن يرفع صوته بحيث يسمعه المُسَلَّمُ عليه، فإن لم يسمعه لم يكن آتيًا بالسنة ".

الأدب السابع عشر: الدعاء إذا خرج من بيته:

أخرج أبو داود والترمذي والنسائي عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ، فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، يُقَالُ لَهُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيطِانُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخرَ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟". (صحيح الجامع: 499) (صحيح الجامع: 6419) (صحيح الترغيب والترهيب: 1605)

وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد من حديث أم سلمة –رضي اللهُ عنها– قالت:

" ما خرج النبيُّ ﷺ من بيتي قَطُّ إلا رفع طَرْفَه إلى السماءِ فقال:" اللهم أعوذُ بك[1] أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ[2] أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عَلَيَّ[3] ". (صحيح أبي داود: 5094)

هديه – صلى الله عليه وسلم – في النَّوم والاستيقاظِ[4]:

1– كان ينامُ على الفراشِ تارةً، وعلى النِّطَع[5] تارةً، وعلى الحصيرِ تارةً، وعلى الأرضِ تارةً، وعلى السريرِ تارةً، وكان فراشُه أَدَمًا[6] حَشْوُه لِيفٌ[7]، وكذا وِسَادَتُهُ.

– فقد أخرج الترمذي من حديث عائشة–رَضِيَ اللهُ عَنْها– قالت:" إنَّما كانَ فراشُ النَّبيِّ ﷺ الَّذي ينامُ عليهِ أَدَمٌ حشوُه ليفٌ ". (صحيح الترمذي: 1761)

– وأخرج الإمام مُسْلِمٌ من حديث زيدِ بنِ خالدٍ الجُهنِيِّ قالَ: فأتَيْتُ عَائِشَةَ فَقُلتُ: إنَّ هذا يُخْبِرُنِي[8]، أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: لا تَدْخُلُ المَلَائِكَةُ بَيْتًا فيه كَلْبٌ وَلَا تَمَاثِيلُ فَهلْ سَمِعْتِ رَسولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ ذلكَ؟ فَقالَتْ: لَا،

1– اللهُمَّ أَعُوذُ بكَ: أي أَلْجَأُ إليكَ وأَسْتجيرُ بكَ.

2– أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ: والزَّلَلُ هو الوقوعُ في المعصيةِ، والمعنى: أَجِرْنِي واحْمِنِي مِن أنْ أقَعَ في الذَّنبِ أو المعصيةِ بقَصْدٍ أو بِغيرِ قَصْدٍ مِنِّي.

3– أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عَليَّ: أي: أَعوذُ بِكَ مِن أنْ أَفْعَلَ فِعْلَ الجاهِلينَ مِن سُوءِ الخُلُقِ وإيذاءِ النَّاسِ، أو أنْ يَفْعَلَ أحدٌ بي هذا الفِعْلَ، ويحتملُ أنْ يكونَ المعنى: أَعوذُ بِكَ أنْ أجْهَلَ شيئًا مِن الأمورِ ولا أعْلَمَها، أو لا يُعلِّمَني إيَّاها أحدٌ.

4– (انظر زاد المعاد:149/1).

5– النِّطع: بساط من جلد.

6– الأَدَمُ: الجِلدُ المدبوغُ.

7– حَشْوُه لِيفٌ: أي: يُحشَى بداخلِ هذا الجِلدِ اللِّيفُ الَّذي يكونُ مِن قِشرِ النَّخيلِ.

8– إنَّ هذا يخبرُني: يقصدُ أبا طَلحةَ الأنصاريَّ

وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكُمْ ما رَأَيْتُهُ فَعَلَ، رَأَيْتُهُ خَرَجَ في غَزَاتِهِ، فأخَذْتُ نَمَطًا[1] فَسَتَرْتُهُ على البَابِ، فَلَمَّا قَدِمَ فَرَأَى النَّمَطَ، عَرَفْتُ الكَرَاهِيةَ في وَجْهِهِ، فَجَذَبَهُ حتَّى هَتَكَهُ، أَوْ قَطَعَهُ، وَقالَ: إنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْنَا أَنْ نَكْسُوَ الحِجَارَةَ وَالطِّينَ، قالَتْ: فَقَطَعْنَا منه وِسَادَتَيْنِ وَحَشَوْتُهُما لِيفًا، فَلَمْ يَعِبْ ذلكَ عَلَيَّ ".

– وفي رواية:"... فرأى النَّمطَ، فلم يردَّ عليَّ شيئًا، ورأيتُ الكراهيةَ في وجهِه، فأتى النَّمطَ حتى هتكَه، ثم قال: إنَّ اللهَ لم يأْمُرنا فيما رزقنا أن نكسو الحجارةَ واللَّبِنَ. قالت: فقطعتُه وجعلتُه وسادتيْنِ وحشوتُهما ليفًا، فلم يُنكر ذلك عليَّ ". (صحيح أبي داود: 4153)

2– ولم يَكُنْ يأخذُ مِن النومِ فوقَ القدرِ المحتاجِ إليهِ، ولا يمنعُ نَفْسَهُ من القدرِ المحتاج إليهِ.

3– وكان ينامُ أَوَّلَ الليلِ ويقومُ آخِرَه، وربما سَهِرَ أَوَّلَ الليلِ في مصالحِ المسلمينَ.

4– وكان إذا عَرَّسَ[2] بليلٍ اضطجعَ على شِقِّهِ الأيمنِ، وإذا عَرَّسَ قُبَيْلَ الصبحِ نَصَبَ ذِرَاعَهُ ووضعَ رأسهُ عَلَى كَفِّهِ. فقد أخرج الإمام مُسْلِمٌ من حديث أبي قتادة الحارث بن ربعي ﷺقال: كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ إذَا كانَ في سَفَرٍ فَعَرَّسَ بلَيْلٍ، اضْطَجَعَ علَى يَمِينِهِ، وإذَا عَرَّسَ قُبَيْلَ الصُّبْحِ نَصَبَ ذِرَاعَهُ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ علَى كَفِّهِ[3]".

5– وكان إذا أَوَى إلى فراشِه للنومِ قال:" باسمكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وأموتُ" (رواه البخاري)، وكان يجمعُ كَفَّيْهِ ثم ينفُثُ فِيهِما، وكان يقرأُ فيهما: المعوذتينِ والإخلاص، ثم يمسحُ بِهِمَا ما استطاعَ من جسدِه، يبدأ بهما على رأسِه ووجهِه، وما أقبلَ من جسدِه، يفعلُ ذلك ثلاثَ مراتٍ. (رواه البخاري).

6– وكانَ إذا نامَ لم يُوقظوه أحد حتى يكونَ هو الذي يَسْتَيْقِظ، وكانت تنامُ عيناهُ ولا ينامُ قلبُه.

فقد أخرج البُخَارِيُّ من حديث أبي سلمة أنَّه سَأَلَ عائِشةَ– رَضِيَ اللهُ عنها–: كيفَ كَانَتْ صَلَاةُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ في رَمَضَانَ؟ فَقالَتْ: ما كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ يَزِيدُ في رَمَضَانَ ولَا في غيرِهِ علَى إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً؛ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فلا تَسَلْ عن حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فلا تَسَلْ عن حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا. قالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ فَقالَ: يا عَائِشَةُ، إنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ ولَا يَنَامُ قَلْبِي.

1– النَّمَطُ: ثوبٌ من صُوفٍ يكون على الهَوْدَجِ، وقيلَ: هو بِساطٌ ونوعٌ من الفُرشِ

2– التعريس: نزول المسافر أَوَّلَ اللَّيلِ لِلنَّومِ وَالاستِراحةِ

3– نَصَبَ ذِراعَه الأَيمنَ ووَضَعَ رَأسَه على كَفِّه: فعل ذلِك خَوفًا أنْ يَغلِبَه النَّومُ عن أداءِ صَلاةِ الصُّبحِ في أوَّلِ وقْتِها.

7- وكان ينامُ على شقهِ الأيمنِ، ويضعُ يَدَهُ تحتَ خَدِّه الأيمن، ثم يقول:" اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعُثُ عِبَادَكَ" (رواه أبو داود والترمذي).

وقال للبراء بن عازب ﷺ:" إذا أتيتَ مَضْجَعَكَ فتوضأ وضُوءَكَ للصلاةِ ثم اضطجِع على شِقَّكَ الأيمنِ ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أسلمتُ نَفْسِي إليكَ، ووجَّهتُ وَجْهِي إليكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إليكَ، وألجأتُ ظهري إليكَ، رغبةً ورهبةً إليكَ، لا ملجأ ولا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إليكَ، آمنتُ بِكَتَابِكَ الذي أنزلتَ، وبنبيكَ الذي أرسلتَ، واجْعَلْهُنَّ آخِرَ كلامِكَ، فإنْ مِتَّ مِنْ ليتِك مِتَّ على الْفِطْرَةِ ". (رواه البخاري ومسلم)

8- وكانَ إذا قامَ مِنَ الليل قال:" اللَّهُمَّ رَبَّ جبريلَ، وميكائيلَ، وإسرافيلَ فَاطِرَ السَّماواتِ والأَرْضِ، عالمَ الغيبِ والشهادةِ، أنتَ تحكمُ بَيْنَ عبادِك فِيْمَا كانوا فيهِ يختلفونَ، اهْدِنِي لما اخْتُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنِكَ، إنك تَهدي مَنْ تشاءُ إلى صراطٍ مستقيم ". (رواه مسلم)

9- وكان إذا انتبه من نومه قال:" الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُور"، وَيَتَسَوَّك، وربما قرأَ العشر آيات من آخر آل عمران ". (رواه البخاري ومسلم).

10- وكان يستيقظُ إذا صاحَ الصارخُ – وهو الدِّيكُ –؛ فيحمدُ اللهَ ويكَبِّرُه ويُهَلِّلُه ويدْعُوه.

قال ابن القيم –رحمه الله–:" مَن تدبَّر نومه ويقظته ﷺ، وجده أعدل نوم وأنفعه للبدن والأعضاء والقوى، فإنه كان ينام أول الليل، ويستيقظ في أول النصف الثاني، فيقوم ويستاك ويتوضأ، ويصلي ما كتب الله له، فيأخذ البدن والأعضاء والقوى حظها من النوم والراحة، وحظها من الرياضة، مع وفور الأجر، وهذا غاية صلاح القلب والبدن والدنيا والآخرة، ولم يكن يأخذ من النوم فوق القدر المحتاج إليه، ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج إليه منه، وكان يفعله على أكمل الوجوه، فينام إذا دعته الحاجة إلى النوم على شقه الأيمن، ذاكرًا الله حتى تغلبه عيناه، غير ممتلئ البدن من الطعام والشراب، ولا مباشر بجنبه الأرض، ولا متخذٍ للفرش المرتفعة، بل له ضجاع من أدم حشوُهُ ليفٌ، وكان يضطجع على الوسادة، ويضع يده تحت خده أحيانًا ". (زاد المعاد:4/ 219).

خاتمة

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

المحتويات

تمهيد 2
نبض الرسالة 3
هديه ﷺ في النَّوم والاستيقاظِ: 4
الأدب الثاني: الاستيقاظ مبكرًا: 8
الأدب الثالث: التسوك عند الاستيقاظ من النوم: 9
الأدب الرابع: الذكر والدعاء والصلاة على النبي ﷺ عند الاستيقاظ: 10
الأدب الخامس: عند الفزع من النَّوم يقول: 15
الأدب السادس: 16
الأدب السابع: 18
الأدب الثامن: الِاسْتِنْثَارُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ عِنْدَ الِاسْتِيقَاظِ مِنَ النَّوْمِ: 18
الأدب التاسع: 19
الأدب العاشر: ترتيب مكان النوم: 19
الأدب الحادي عشر: قيام الليل بقدر ما يستطيع: 20
الأدب الثاني عشر: إيقاظ الأهل لقيام الليل: 22
الأدب الثالث عشر: 23
الغسل من الاحتلام– إن وجد– بعد الاستيقاظ من النَّوم: 23
الأدب الرابع عشر: المحافظة على صلاة الفجر في جماعة: 24
الأدب الخامس عشر: تجنب النوم بعد صلاة الفجر، ويذكر الله حتى يصلى الضحى: 25
الأدب السادس عشر: التزام الهدوء والسكينة، وعدم رفع الصوت عند الدخول على النائم: 25
الأدب السابع عشر: الدعاء إذا خرج من بيته: 26
خاتمة 29